بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وخلق الإنسان، وعلمه البيان، وأصلي وأسلم على أفصح الخلق لسانًا، وأحسنهم بيانًا، محمد وعلى آله وصحبه إقرارًا وعرفانًا.

وبعد؛ فإن شرف علوم البلاغة والفصاحة والبيان لا ينكره إلا جاهل، ويحمله كل عالم فاضل، وأديب كامل، لا سيما إن كان المؤلَّف في ذلك حَسَنَ التأليف، قريب المأخذ، سهل المُدْرَك، فما بالك بكتاب كهذا قضى كاتبه عمره في تحصيل علم البيان، والبحث عن تصانيفه وكتبه؟! فيقول في ذلك عن نفسه: "فلم أترك في تحصيله سبيلاً إلا نهجته، ولا غادرت في إدراكه بابًا إلا ولجته، حتى اتضح عندي باديه وخافيه، وانكشف لي أقوال الأئمة المشهورين فيه"[1].

وقد جمع مؤلِّف هذا الكتاب في تأليفه هذا ما انتهى إليه السابقون المُبَرِّزون في هذا الفن: كأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، وأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، وأبي عثمان الجاحظ، وقدامة بن جعفر الكاتب، وأبي هلال العسكري، وأبي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي، وأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي، وغيرهم ممن له كتاب يشار إليه، وقول تعقد الخناصر عليه.

ثم زاد على ما ذكروه وعدُّوه من أقسام البديع ثلاثين نوعًا من أنواع البيان، لم يأت بها أحد من أولئك الأعيان، وإنما فاضت بها قريحة المصنف مِن تأمُّل القرآن.

فضلاً عن أنه قد عاود النظر في تصانيف العلماء المذكورين، فاستدرك عليهم كثيرًا من اللطائف الرائعة، والنوادر الحسنة الفائقة، تعد كالشاهد لما بينوه، وقلما ترك قولاً من أقوالهم بحاله، من غير زيادة أودعها في خلاله.

ولذا حق له أن يقول: "فصار هذا الكتاب لغوامض علم البيان مبيِّنًا، ولما ذكره أرباب هذه الصناعة وما لم يذكروه متضمنًا، فأوردت في صدره ما يجب على مؤلف الكلام علمُه، وينبغي له معرفته وفهمُه، ثم شفعت ذلك بذكر الفصاحة والبلاغة، وصغت

---

(١) انظر: مقدمة المؤلف.

الكلام فيهما أحسن الصياغة، فأوضحت ما أشكل من طريقتهما، وبينت أقوال العلماء في حقيقتهما، مع ما أضفته إلى ذلك من زيادات مناسبة واحترازات واجبة.

ثم شرحت بعد ذلك جميع أنواع علم البيان، وشفيت القول فيهما بحسب الإمكان، وسميته بكتاب: "الجامع الكبير، في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور".

**عملنا في الكتاب:**

أما عن خطة العمل في تحقيق هذا الكتاب فكانت كالتالي:

١- تحقيق الكتاب على أربع نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية مع النسخة المطبوعة بالمجمع العراقي، ومقابلة نص الكتاب على هذه النسخ، وإثبات الفروق المهمة والمؤثرة.

٢- تخريج جميع شواهد الكتاب من القرآن والسنة النبوية والأمثال وأقوال العرب، والشواهد الشعرية.

٣- الترجمة لأهم الأعلام.

٤- شرح الغريب، وهو كثير في هذا الكتاب.

٥- التعليق على المسائل اللغوية في النحو والصرف والبلاغة وعلوم اللغة على العموم.

٦- التقديم بدراسة ضافية في تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه، وهي مسألة اختلفت فيها أقوال المترجمين والمؤرخين وأصحاب كشافات الكتب والمؤلَّفات.

٧- الترجمة الوافية للمؤلف وأخويه اللذين ينسب الكتاب إليهما كذلك في القول المرجوح.

٨- تذييل الكتاب بالفهارس العلمية الشاملة لموضوعات الكتاب وشواهده القرآنية والحديثية والشعرية.

هذا و لم نألُ جُهدًا في ضبط الكتاب وتصحيحه ومراجعته، وقد عاوننا في ذلك بعض الإخوة الأفاضل، فنسأل الله تعالى أن يجزل لنا المثوبة ولكل من شارك في إخراج هذا الكتاب بجهد مأجور، كما نسأله سبحانه أن ينفع به عباده، وأن يجعله ذخرًا لنا يوم لقائه، إنه سبحانه سميع قريب.

المحقق

**د. عبد الحميد هنداوي**

## نسخ الكتاب(*):

### النسخة المطبوعة:

اعتمد مُحَقِّقَا الكتاب المطبوع على نسخة واحدة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٧٠) بلاغة، وكتب في صدرها: "كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة، لسان الأدب، وترجمان العرب، أبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري، الشهير بابن الأثير، رحمه الله تعالى وعفا عنه".

وكان عدد أوراقها (١٦٥) ورقة، وكان خطُّها واضحًا ولكنها كثيرة التصحيف.

### المخطوطات التي تم الرجوع إليها:

رجعنا في تحقيق هذا الكتاب إلى أربع نسخ خطية بدار الكتب المصرية وهي تحت الأرقام الآتية:

(١) ١٣١ بلاغة تيمور(١).

(٢) ٢٧٠ بلاغة(٢).

(٣) ١٠٧ الحسيني(٣).

(٤) ١٦٦ مجاميع مصطفى فاضل(٤).

### نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

اختلف المؤرخون وأصحاب كتب التراجم والكشافات وناسخو المخطوطات في نسبة الكتاب إلى مؤلفه على ثلاثة أقوال:

---

(*) أوردنا ملحقًا في آخر الكتاب بصور نماذج هذه المخطوطات.

(١) رمز لها بالرمز (ت).

(٢) رمز لها بالرمز (ب).

(٣) رمز لها بالرمز (ح).

(٤) رمز لها بالرمز (أ).

١- علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني عز الدين أبو الحسن الجزري الموصلي (وعليه أكثر النسخ).

٢- نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين (وهذا ما أثبتته النسخة٢٧٠ بلاغة بالإضافة إلى غلاف نسخة الحسيني).

٣- المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري الموصلي الشافعي (نُسب إليه في نسخة عليها خاتم وقف باسم تيمور).

وقبل أن نفصل في هذا الخلاف بترجيح نسبة الكتاب لأحد هؤلاء الثلاثة الأفاضل، خاصة وأن كل واحد منهم جدير بنسبة هذا التأليف إليه، لذا نهيئ الأمر للقارئ بإيراد ما ذكرته كتب التاريخ والتراجم لكل واحد منهم:

(١)

## مجد الدين أبو السعادات

## [٥٤٤-٦٠٦هـ]

**اسمه ونسبه ومولده:**

هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجَزري ثم الموصلي الشافعي، يكنى أبا السعادات، ويلقب مجد الدين، ويعرف بابن الأثير.

وقد اتفق المؤرخون على أنه ولد في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة (٥٤٤هـ) ما عدا ابن تغري بردي الذي ذكر أنه ولد سنة أربعين وخمسمائة (٥٤٠هـ)[١].

**نشأته:**

نشأ أبو السعادات بجزيرة ابن عمر.

قال ياقوت الحموي: "جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام، ولها رستاق -القرى وما يحيط بها من الأرضين- مخصب واسع الخيرات، وأحسب أن

---

(١) النجوم الزاهرة (١٩٨/٦).

أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وكانت له إمرة بالجزيرة وذِكْرٌ قُرَابة سنة (٢٥٠هـ)، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال، ثم عُمِل هناك خندقٌ أُجرِي فيه الماء، ونُصِبت عليه رحًى، فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق، وينسب إليها جماعة كثيرة، منهم... وبنو الأثير العلماء الأدباء، وهم: مجد الدين المبارك، وضياء الدين نصر الله، وعز الدين أبو الحسن علي، بنو محمد بن عبدالكريم الجزري، كل منهم إمام"[(١)].

وقال ابن خلكان: "والجزيرة المذكورة أكثر الناس يقولون: إنها جزيرة ابن عمر، ولا أدري من ابن عمر؟ وقيل: إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقَيْن، ثم إني ظفرت بالصواب في ذلك؛ وهو أن رجلاً من أهل برقعيد من أعمال الموصل بناها، وهو عبدالعزيز بن عمر، فأضيفت إليه.

ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابني عمر: أوس وكامل، ولا أدري أيضًا من هما؟ ثم رأيت في تاريخ ابن المستوفي في ترجمة أبي السعادات المبارك بن محمد أخي أبي الحسن المذكور أنه من جزيرة أوس وكامل ابني عمر بن أوس التغلبي"[(٢)].

ولقن أبو السعادات بجزيرة ابن عمر دروسه الأولى، ولما استوى يافعًا انتقل إلى الموصل سنة (٥٦٥هـ) فاتصل بصاحبها فكان من أخصائه، وفي الموصل أخذت شخصيته تنضج وثقافته تغزر، وأقبل على ألوان المعرفة يتشرّبها على مهل ليخرجها بعد ذلك إلى الناس علمًا نافعًا فيه خير وبركة ونماء. ثم أصيب بالنِّقْرِس[(٣)] فبطلت حركة يديه ورجليه، ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل[(٤)].

---

(١) معجم البلدان (٢/١٣٨، ١٣٩).

(٢) وفيات الأعيان ص(٢٣٤١).

(٣) النِّقرس -بكسر النون والراء: داء يأخذ في الرِّجْل. كذا في "المحكم" لابن سيده بتحقيقنا - ط.دار الكتب العلمية - بيروت - (نقرس) (٦/٦١٤).

(٤) الأعلام للزركلي (٥/٢٧٢)، النهاية في غريب الحديث (١/٢).

**أسرته:**

ابن الأثير اسم يعرفه كل من اتصل بالمكتبة العربية، محدِّثًا أصوليًّا، أو مؤرِّخًا نَسَّابة، أو كاتبًا بليغًا، ولم يُعرَف لرب الأسرة عناية بالعلم أو تصنيف فيه؛ ولكنه أنجب عباقرة ثلاثة كان لهم في تاريخ الثقافة العربية شأن أي شأن.

لقد اندفع كل منهم في الطريق الذي اختاره يشكل معالم نهضتنا الفكرية ويثري جوانبها بإنتاجه الخصب الوفير.

وقد اختار مجد الدين الحديثَ والفقهَ، وآثر عز الدين التاريخَ والأنساب، بينما مال ضياء الدين إلى الكتابةِ والبيان[1].

**شيوخه وتلاميذه:**

تلمذ أبو السعادات لطائفة من العلماء الأجلاء؛ فقرأ الأدب والنحو على ناصح الدين أبي محمد سعيد بن المبارك بن علي الدهان البغدادي النحوي المتوفى سنة (٥٦٩هـ)[2]، وأبي الحرم مكي بن ريان بن شبَّة بن صالح الماكسيني النحوي الضرير، نزيل الموصل المتوفى سنة (٦٠٣هـ)[3].

وأخذ النحو وسمع الحديث من أبي بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، النحوي اللغوي المقرئ الأديب المتوفى بالموصل سنة (٥٦٧هـ)[4]، وسمع الحديث بالموصل من جماعة، منهم خطيب الموصل أبو الفضل عبدالله بن أحمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة (٥٧٨هـ)[5].

---

(١) النهاية في غريب الحديث (١٢/١).

(٢) النهاية في غريب الحديث (١٤/١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٩٠/٢١).

(٤) بغية الوعاة (٣٣٤/٢).

(٥) وفيات الأعيان ص(٥٣٧٤).

وقدم بغداد حاجًّا، فسمع بها من أبي القاسم صاحب ابن الخل المتوفى سنة (٥٥٢هـ)[١]، وابن كليب أبي الفرج عبدالمنعم بن عبدالوهاب بن سعد الحراني ثم البغدادي التاجر المتوفى ببغداد سنة (٥٩٦هـ)[٢]، وعبدالوهاب بن سكينة الصوفي الشافعي المتوفى سنة (٦٠٧هـ)[٣].

وتتلمذ عليه وروى عنه ولده، والشهاب الطوسي أبو الفتح محمد بن محمود ابن محمد بن شهاب الدين، نزيل مصر وشيخ الشافعية المتوفى بمصر سنة (٥٩٦)، وجماعة[٤].

وممن روى عنه أيضًا القفطي -هبة الله بن عبدالله بن سيد الكل القاضي أبو القاسم بهاء الدين- المتوفى سنة (٦٩٧هـ)[٥].

وآخر من روى عنه بالإجازة فخر الدين بن البخاري المتوفى سنة (٦٩٠هـ)[٦].

**حياته وسيرته:**

استطاعت شخصية أبي السعادات أن تجذب إليه أنظار الحكام الذين رغبوا في الإفادة من هذا العالم الكبير الجليل.

بعد نشأته في جزيرة ابن عمر انتقل إلى الموصل وكتب لأمرائها وكانوا يحترمونه وكان عندهم بمنزلة الوزير الناصح، إلا أنه كان منقطعًا إلى العلم قليل الملازمة لهم[٧].

---

(١) النجوم الزاهرة (١٥٩/٦)، وسير أعلام النبلاء (٢٢٦/٢١).

(٢) الوافي بالوفيات ص(١٥٨٥٦).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤٢٧/٤)، وسير أعلام النبلاء (٥٠٥/٢١).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٥٤١/٣)، وشذرات الذهب (٣٢٧/٢).

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٤٦٧/٤)، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني ص(١٧٨٧).

(٦) طبقات الشافعية الكبرى (٤٥٤/٤).

(٧) النجوم الزاهرة (١٩٨/٦) بتصرف.

واتصل بالأمير مجاهد الدين قايماز الخادم إلى أن توفي مخدومه، فكتب الإنشاء لصاحب الموصل عز الدين مسعود الأتابكي، ووَلِي ديوان الإنشاء وعظم قدره، وله اليد البيضاء في الترسل، وصنف فيه[1].

قال ياقوت الحموي: "وحدثني أخوه أبو الحسن قال: تولّى أخي أبو السعادات الخزانة لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي، ثم ولاه ديوان الجزيرة وأعمالها، ثم عاد إلى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهاني، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز بالموصل أيضًا، فنال عنده درجة رفيعة، فلما قُبض على مجاهد الدين، اتصل بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود إلى أن توفي عز الدين، فاتصل بخدمة نور الدين أرسلان شاه، فصار واحد دولته حقيقة بحيث إن السلطان كان يقصد مترله في مهام نفسه؛ لأنه أُقْعِد في آخر زمانه، فكانت الحركة تصعب عليه فكان يجيئه بنفسه، أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذي هو اليوم أمير الموصل"[2].

وكان أبو السعادات ذا دين متين، فلم تبهره أضواء الحكم، ولم تثنه عما أخذ به نفسه من الدرس والتحصيل، وقد أراد نور الدين أن يستخلصه لنفسه، فعرض عليه الوزارة غير مرة فرفضها، وهو منصب تعشو إليه الأنظار، وكان يعلم خطورة هذا الأمر.

قال ياقوت: "وحدثني أخوه المذكور قال: حدثني أخي أبو السعادات قال: لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي. قال: فجعلت أبكي فبلغه ذلك فجاءني وأنا على تلك الحال، فقال لي: أبلغ الأمر إلى هذا؟ ما علمت أن رجلاً ممن خلق الله يكره ما كرهت! فقلت: أنا يا مولانا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري، واشتهر ذلك عني في البلاد بأسرها، واعلم أنني لو اجتهدت في

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٨٩، ٤٩٠).

(٢) معجم الأدباء (٥/٥٠).

إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت أؤدي حقه، ولو ظلم أكّار في ضيعةٍ من أقصى أعمال السلطان لنُسب ظلمه إليَّ، ورجعت أنت وغيرك باللائمة عليَّ، والملك لا يستقيم إلا بالتسمح في العسف وأخذ هذا الخلق بالشدة، وأنا لا أقدر على ذلك؛ فأعفاه. وجاءنا إلى دارنا فخبرنا بالحال، فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع فلم يؤثر اللوم عنده أسفًا"[1].

وهكذا سارت حياة أبي السعادات بين عزوف عن الدنيا، وإقبال على العلم، ورغبة في المعرفة، واستكثار من الخير والبر، حتى عرض له مرض النِّقرِس؛ فأبطل حركة يديه ورجليه، ومنعه الكتابة، فانقطع في بيته، يغشاه الأكابر والعلماء، بحيث صار يحمل في محفة، ولقد قابل هذه المحنة بقلب راضٍ ونفس مطمئنة، ورأى فيها الفرصة للبعد عن ضوضاء الناس ولهوهم، والفراغ إلى الدرس والتصنيف[2].

قال ابن خلكان: "وحكى أخوه عز الدين أبو الحسن علي أنه لما أقعد جاءهم رجل مغربي، والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه، وأنه لا يأخذ أجرًا إلا بعد برئه، فملنا إلى قوله، وأخذ في معالجته بدهن صنعه، فظهرت ثمرة صنعته ولانت رجلاه وصار يتمكن من مدهما، وأشرف على كمال البرء، فقال لي: اعط هذا المغربي شيئًا يرضيه واصرفه، فقلت له: لماذا وقد ظهر نُجح معاناته؟ فقال: الأمر كما تقول، ولكني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم، وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدعة، وقد كنت بالأمس وأنا معافى أذل نفسي بالسعي إليهم، وهأنا اليوم قاعد في منزلي، فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاءوني بأنفسهم لأخذ رأيي، وبين هذا وذاك كثير، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض، فما أرى زواله ولا معالجته، ولم يبق

---

(١) معجم الأدباء (٥/٥٠).

(٢) بغية الوعاة (٢/٢٧٤)، والنهاية في غريب الحديث (١/١٠) بتصرف.

من العمر إلا القليل، فدعني أعيش باقيه حرًّا سليمًا من الذل، وقد أخذت منه بأوفر حظ. قال عز الدين: فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان"[1].

وهكذا لزم الرجل بيته صابرًا محتسبًا، يغشاه الأكابر والعلماء؛ يقبسون من علمه، وينهلون من فيضه، وكان قد أنشأ رباطًا بقرية من قرى الموصل تسمى "قصر حرب"، ووقف أملاكه عليه وعلى داره التي يسكنها بالموصل، ووقف داره على الصوفية وجعلها رباطًا[2].

قال ابن خلكان: "وبلغني أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة، فإنه تفرغ لها، وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة"[3].

**مكانته العلمية:**

كان أبو السعادات منذ ريعان الشباب وحداثة السن مشغوفًا بطلب العلم ومجالسة أهله، والتشبه بهم حسب الإمكان، فبذل الوسع في تحصيل ما وفق لهً من أنواعه حتى صارت فيه قوة الاطلاع على خفاياه وإدراك خباياه، وكثيرٌ من الذين كتبوا عنه امتدحوا علمه وثراء تنوعه.

قال عنه ياقوت: "كان عالمًا فاضلاً وسيدًا كاملاً، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحته وسقمه، والفقه وكان شافعيًّا"[4].

وقال أبو البركات بن المستوفي في "تاريخ إربل" في حقه: "أشهر العلماء ذكرًا، وأكبر النبلاء قدرًا، وأحد الأفاضل المشار إليهم، وفرد الأماثل المعتمد في الأمور عليهم"[5].

وقال الزركلي عنه: "مجد الدين المحدث اللغوي الأصولي"[6].

---

(١) وفيات الأعيان (١٤٢/٥).

(٢) وفيات الأعيان (١٤١/٤)، ومعجم الأدباء (٥٠/٥) بتصرف.

(٣) وفيات الأعيان (١٤٢/٤).

(٤) معجم الأدباء (٤٩/٥).

(٥) وفيات الأعيان (١٤١/٤)، وأبجد العلوم (١٢/٣).

(٦) الأعلام للزركلي (٢٧٢/٥).

وقال الذهبي: "القاضي الرئيس العلامة البارع الأوحد البليغ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم"[1].

وقال أبو بكر بن قاضي شهبة: "المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني العلامة مجد الدين أبو السعادات بن الأثير الجزري ثم الموصلي الفقيه المحدث اللغوي البارع العَلَم"[2].

وقال ابن خلكان: "كان فقيهًا محدثًا أديبًا نحويًّا عالمًا بصنعة الحساب والإنشاء ورعًا عاقلاً مهيبًا ذا بر وإحسان"[3].

وقال السبكي عنه: "كان بارعًا في الترسل... وكان فاضلاً رئيسًا مشارًا إليه"[4].

وقال عنه صاحب "معجم المؤلفين": "عالم، أديب، ناثر، مشارك في تفسير القرآن والنحو واللغة والحديث والفقه، وغير ذلك"[5].

وترجمه أخوه في "الكامل"، فقال: "كان عالمًا في عدة علوم، منها: الفقه وعلم الأصول والنحو والحديث واللغة، وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والفقه والحساب وغريب الحديث، وله رسائل مدونة، وكان كاتبًا مفلقًا يضرب به المثل، ذا دين متين، ولزوم طريق مستقيم، رحمه الله ورضي عنه، فلقد كان من محاسن الزمان، ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولي، ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أني مقصر"[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٨٨).

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة – تحقيق د. الحافظ عبدالعليم خان (٢/٦٠، ٦١)، ط. عالم الكتب – بيروت – (١٤٠٧هـ) الطبعة الأولى.

(٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/٦١).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٤/٤٥٤).

(٥) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣/١٣).

(٦) الكامل في التاريخ (١٠/٣٥٠) تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي – ط. دار الكتب المصرية – بيروت – (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) الطبعة الثانية.

هكذا لم يترك أبو السعادات بابًا من أبواب العلم والمعرفة إلا ولجه، ولا نافذة من نوافذ الثقافة إلا أطل منها، حتى اكتملت له شخصية علمية ناضجة، وأصبح ذا مكانة علمية عالية.

ومجد الدين يقول الشعر -مقلاً- على طريقة العلماء، وإن كان أُمِر من قِبَل شيوخه بقول الشعر إلا أنه كان يمتنع من ذلك.

قال ياقوت الحموي: "وحدثني عز الدين أبو الحسن قال: حدثني أخي أبو السعادات -رحمه الله- قال: كنت أشتغل بعلم الأدب على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي بالموصل، وكان كثيرًا ما يأمرني بقول الشعر وأنا أمتنع من ذلك، قال: فبينا أنا ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم، وهو يأمرني بقول الشعر، فقلت له: ضع لي مثالاً أعمل عليه، فقال:

جُبِ الفَلاَ مُدْمِنًا إنْ فَاتَكَ الظَّفَرُ وخُدَّ خَدَّ الثَّرَى واللَّيْلُ مُعْتَكِرُ

فقلت أنا:

فالعِزُّ في صَهَوَاتِ الخَيْلِ مَرْكَبُهُ وَالمَجْدُ يُنْتِجُهُ الإسْرَاءُ والسَّهَرُ

فقال لي: أحسنتَ، هكذا فقل! فاستيقظت فأتممت عليها نحو العشرين بيتًا.

وحدثني عز الدين أبو الحسن قال: كتب أخي أبو السعادات إلى صديق له في صدر كتاب -والشعر له-:

وإنِّي لَمُهْدٍ عَنْ حَنِينٍ مُبَرِّحٍ إلَيْكَ عَلَى الأَقْصَى مِنَ الدَّارِ والأَدْنَى
وإنْ كَانَتِ الأَشْوَاقُ تَزْدَادُ كُلَّمَا تَنَاقَصَ بُعْدُ الدَّارِ واقْتَرَبَ المَغْنَى
سَلاَمًا كَنَشْرِ الرَّوْضِ بَاكَرَهُ الحَيَا وَهَبَّتْ عَلَيْهِ نَسْمَةُ السَّحَرِ الأَعْلَى
فَجَاءَ بِمِسْكِيِّ الهَوَا مُتَحَلِّيًا بِبَعْضِ سَجَايَا ذَلِكَ المَجْلِسِ الأَسْمَى

وأنشدني عز الدين قال: أنشدني أخي مجدُ الدين أبو السعادات لنفسه:

عَلَيْكَ سَلاَمٌ فَاحَ مِنْ نَشْرِ طِيبِهِ نَسِيمٌ تَوَلَّى بَثَّهُ الرَّنْدُ والْبَانُ
وَجَازَ عَلَى أَطْلاَلِ مَيٍّ عَشِيَّةً وَجَادَ عَلَيْهِ مُغْدِقُ الوَبْلِ هَتَّانُ
فَحَمَّلْتُهُ شَوْقًا حَوَتْهُ ضَمَائِرِي تَمِيدُ لَهُ أَعْلاَمُ رَضْوَى وَلُبْنَانُ

واستنشدته شيئًا آخر من شعره، فقال: كان أخي قليل الشعر لم يكن له به تلك العناية، وما أعرف الآن له غير هذا"[1].

وله بعض المقطوعات تشف عن حس أدبي رهيف؛ منها ما أنشده -رحمه الله- للأتابك صاحب الموصل، وقد زلّت به بغلته وألقته إلى الأرض:

إن زلّت البغلة من تحته ... فإن في زلتها عذرًا

حمَّلها من علمه شاهقًا ... ومن ندى راحته بحرًا[2]

قال ابن خلكان: "وهذا معنى مطروق، وقد جاء في الشعر كثيرًا"[3].

**كتبه ومؤلفاته:**

تعددت مصنفات أبي السعادات، وكثرت تآليفه، فمنها:

(١) الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف (تفسيري الثعلبي والزمخشري).

(٢) الباهر في الفروق:

سماه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: (الفروق والأبنية)[4].

(٣) البديع في شرح فصول ابن الدهان:

سماه الذهبي: (البديع في شرح مقدمة ابن الدهان)[5].

(٤) تهذيب فصول ابن الدهان.

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول:

(جمع بين الصحاح الستة).

(٦) ديوان رسائل.

---

(١) معجم الأدباء (٥/٥١، ٥٢).

(٢) النجوم الزاهرة (٦/١٩٩).

(٣) وفيات الأعيان (٤/١٤٢).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٤/٤٥٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢١/٤٩٠).

(٧) رسائل في الحساب مُجَدْولات.

(٨) الشافي (شرح مسند الشافعي).

(٩) شرح غريب الطِّوال.

(١٠) الفروق والأبنية.

سماه ياقوت وغيره: (الباهر في الفروق)[١].

(١١) كتاب لطيف في صنعة الكتابة.

(١٢) المختار في مناقب الأخيار أو الأبرار.

(١٣) المرصع في الآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والأذواء والذوات.

(١٤) المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار.

(١٥) النهاية في غريب الحديث والأثر.

(١٦) الجواهر واللآلي من إملاء المولى الوزير الحلالي[٢].

(١٧) تجريد أسماء الصحابة[٣].

(١٨) منال الطالب في شرح طوال الغرائب[٤].

(١٩) نهاية الأثيرية في اللغات الحديثية[٥].

**وفاته:**

في يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة (٦٠٦هـ) بالموصل **فاضت** روحه الطاهرة إلى بارئها، ودفن برباطه بدرب درّاج داخل البلد[٦].

---

(١) معجم الأدباء (٥/٥٢).

(٢) كشف الظنون (٦/٣).

(٣) الأعلام (٥/٢٧٢).

(٤) الأعلام (٥/٢٧٢).

(٥) كشف الظنون (٦/٣).

(٦) النجوم الزاهرة (٦/١٩٩)، وسير أعلام النبلاء (٢١/٤٩١).



obeikandl.com

(٢)

## أبو الحسن عز الدين بن الأثير

## [٥٥٥-٦٣٠هـ]

**اسمه ونسبه ومولده:**

هو علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، عز الدين أبو الحسن الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير، الفقيه المؤرخ الشافعي[١].

قال الذهبي: "وكان يكتب اسمه كثيرًا: (علي بن محمد بن عبدالكريم)، وكذا ذكره المنذري والقوصي وابن الحاجب وشيخنا ابن الظاهري في تخريجه لابن العديم، وإنما هو بلا ريب: (علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم) كما هو في نسب أخويه وابن أخيه شرف الدين، وكما ذكره ابن خلكان وابن الساعي وشمس الدين يوسف بن الجوزي"[٢].

ولد في رابع جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة (٥٥٥هـ) بجزيرة ابن عمر[٣].

**نشأته:**

ولد عز الدين بجزيرة ابن عمر[٤]، ونشأ بها هو وأخواه: العلامة مجد الدين والوزير ضياء الدين، ثم تحول بهم أبوهم إلى الموصل فسمعوا بها، واشتغلوا، وبرعوا، وسادوا[٥].

**شيوخه وتلاميذه:**

تلمذ أبو الحسن عز الدين لطائفة من العلماء الأجلاء، فسمع الحديث بالموصل من الخطيب أبي الفضل عبدالله بن أحمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة (٥٧٨هـ)[٦].

---

(١) كشف الظنون (٥/٧٠٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٥٥).

(٣) وفيات الأعيان (٣/٣٤٩).

(٤) انظر: ترجمة مجد الدين.

(٥) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٥٤).

(٦) وفيات الأعيان ص(٥٣٧٤).

وأبي الفرج يحيى بن محمود بن سعد الثقفي الصوفي المتوفى سنة (٥٨٤هـ)[١].

وأبي منصور مسلم بن علي السِّيحي الموصلي المتوفى سنة (٥٩٥هـ)[٢].

وسمع ببغداد -لما قدمها رسولاً- من ابن كليب أبي الفرج عبدالمنعم بن عبدالوهاب بن سعد الحراني المتوفى ببغداد سنة (٥٩٦هـ)[٣].

وعبدالوهاب بن سكينة الصوفي الشافعي المتوفى سنة (٦٠٧هـ)[٤].

ويعيش بن صدقة بن علي أبي القاسم الفراتي الضرير المتوفى سنة (٥٩٣هـ)[٥].

وسمع بدمشق من أبي القاسم بن صَصْرَى المتوفى سنة (٦٢٦هـ)[٦].

وزين الأمناء أبي البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن عساكر الدمشقي الشافعي المتوفى سنة (٦٢٧هـ)[٧].

وسمع بالقدس من جماعة[٨].

وتتلمذ عليه وروى عنه: ابن الدُّبيثي أبو عبدالله محمد بن يحيى بن حجاج الدُّبيثي المتوفى سنة (٦٣٧هـ)[٩].

وشهاب الدين القوصي المتوفى سنة (٦٥٣هـ)[١٠].

ومجد الدين بن العديم عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة المتوفى سنة (٦٧٧هـ)، ووالده أبو القاسم بن العديم العقيلي الحلبي الحنفي[١١].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/١٣٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/٣٠٣).

(٣) الوافي بالوفيات ص(١٥٨٥٦).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/٤٢٧).

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٤/٢١٧).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢٢/٢٨٤).

(٧) سير أعلام النبلاء (٢٢/٢٨٥).

(٨) وفيات الأعيان (٣/٣٤٨).

(٩) سير أعلام النبلاء (٢٣/٦٩).

(١٠) بغية الطلب في تاريخ حلب (٤/١٦٣٤).

(١١) الوافي بالوفيات ص(١٤٨٠٢).

وأبو الفضل بن عساكر، وسنقر القضائي علاء الدين أبو سعيد الأرمني القضائي الحلبي المتوفى سنة (٧٠٦هـ)[١].

**حياته وسيرته:**

نشأ عز الدين بجزيرة ابن عمر هو وأخواه، وتلقى فيها دروسه الأولى، ثم تحول بهم أبوهم إلى الموصل وسكنها وسمع بها من جماعة، وقدم بغداد مرارًا حاجًّا ورسولاً من صاحب الموصل وسمع بها من شيوخها، ثم رحل إلى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة، ثم عاد إلى الموصل ولزم بيته منقطعًا إلى التوفر على النظر في العلم والتصنيف، وكان بيته بجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها.

قال ابن خلكان: "ولما وصلتُ إلى حلب في أواخر سنة ست وعشرين وستمائة كان عز الدين المذكور مقيمًا بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم أتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب، وكان الطواشي كثير الإقبال عليه حسن الاعتقاد فيه مكرمًا له، فاجتمعتُ به، فوجدته رجلاً مكملاً في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع، فلازمت التَّردَاد إليه، وكان بينه وبين الوالد -رحمه الله تعالى- مؤانسة أكيدة، فكان بسببها يبالغ في الرعاية والإكرام. ثم إنه سافر إلى دمشق في أثناء سنة سبع وعشرين، ثم عاد إلى حلب في أثناء سنة ثمان وعشرين، فجريت معه على عادة الترداد والملازمة، وأقام قليلاً ثم توجه إلى الموصل"[٢].

قال الذهبي: "ولقد أقبل في آخر عمره على الحديث إقبالاً تامًا، وسمع العالي والنازل"[٣].

**مكانته العملية:**

كثير من الذين كتبوا عنه امتدحوا علمه وثراء تنوعه.

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين الصفدي ص(٢١٣٧).

(٢) وفيات الأعيان (٣/٣٤٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٥٤).

قال عنه ابن خلكان: "كان إمامًا في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظًا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيرًا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم، صنف في التاريخ كتابًا كبيرًا سماه "الكامل" ابتدأ فيه من أول الزمان إلى آخره سنة ثمان وعشرين وستمائة، وهو من خيار التواريخ، واختصر كتاب "الأنساب" لأبي سعد عبدالكريم بن السمعاني، واستدرك عليه فيه مواضع ونبّه على أغلاط وزاد أشياء أهملها، وهو كتاب مفيد جدًّا، وأكثر ما يوجد اليوم بأيدي الناس هذا المختصر، وهو في ثلاث مجلدات، والأصل في ثمان وهو عزيز الوجود ولم أره سوى مرة واحدة بمدينة حلب، ولم يصل إلى الديار المصرية سوى المختصر المذكور"[1].

وقال عنه الذهبي: "الشيخ الإمام العلامة المحدِّث الأديب النسَّابة عز الدين أبو الحسن..".

وقال أيضًا: "كان إمامًا، علامة، أخباريًا، أديبًا، متفننًا، رئيسًا، محتشمًا، كان منزله مأوى طلبة العلم، ولقد أقبل في آخر عمره على الحديث إقبالاً تامًّا، وسمع العالي والنازل"[2].

وقال عنه صاحب الوافي بالوفيات: "كان إمامًا نسَّابة مؤرخًا إخباريًا أديبًا نبيلاً محتشمًا وبيته مأوى الطلبة"[3].

وقال ابن خلكان: "كان بيته بالموصل مجمع الفضلاء، اجتمعت به بحلب فوجدته رجلاً مكملاً في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع"[4].

وقال عنه أيضًا: "كان إمامًا في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظًا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيرًا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم"[5].

---

(١) وفيات الأعيان (٣/٣٤٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٥٤).

(٣) الوافي بالوفيات (١/٣٠٤٨).

(٤) وفيات الأعيان (٣/٣٤٩).

(٥) وفيات الأعيان (٣/٣٤٨).

وقال عنه صاحب معجم المؤلفين: "مؤرخ محدث، حافظ، أديب، لغوي، بياني، نسابة"[1].

وقال عنه الزركلي: "أبو الحسن عز الدين ابن الأثير: المؤرخ، الإمام، من العلماء بالنسب والأدب"[2].

وقال عنه النويري: "كان رجلاً فاضلاً صنف في التاريخ كتاب الكامل.." [3].

وقال عنه اليافعي: "كان صدرًا معظمًا كثير الفضائل، كان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل، وحافظًا للتواريخ، وخبيرًا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم.." [4].

**كتبه ومؤلفاته:**

تعددت مصنفات أبي الحسن، وكثرت تآليفه منها:

(١) الكامل على الحوادث والسنين (التاريخ الكبير).

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب (وهو تلخيص أنساب السمعاني).

(٣) معرفة الصحابة المعروف بأسد الغابة في معرفة الصحابة[5]، ويسمى (أخبار الصحابة) [6].

(٤) تاريخ الدولة الأتابكية.

(٥) الجامع الكبير (في البلاغة).

(٦) تاريخ الموصل[7] (لم يتمه).

(٧) آداب السياسة.

---

(١) معجم المؤلفين (٥٢٣/٢).

(٢) الأعلام للزركلي (٣٣١/٤).

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب (١٨٢٥٩).

(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ص(٣٠٦٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣٥٤/٢٢).

(٦) وفيات الأعيان (٣٤٩/٣).

(٧) الأعلام (٣٣١/٤).

(٨) تحفة العجائب وطرفة الغرائب في التاريخ.

(٩) كتاب الجهاد[١].

**وفاته:**

توفِّي عز الدين في الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثين وست مئة (٦٣٠هـ) بالموصل[٢].

## (٣)

## ضياء الدين نصر الله

## [٥٥٨-٦٣٧هـ]

**اسمه ونسبه ومولده:**

هو نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، وزير، من العلماء الكتاب المترسلين[٣].

ولد ضياء الدين في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (٥٥٨هـ) بجزيرة ابن عمر[٤].

**نشأته:**

ولد ضياء الدين بجزيرة ابني عمر، ونشأ بها، وانتقل مع والده إلى الموصل في رجب سنة تسع وسبعين وخمسمائة (٥٧٩هـ)، وبها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرًا من الأحاديث النبوية وطرفًا صالحًا من النحو واللغة وعلم البيان وشيئًا كثيرًا من الأشعار[٥].

---

(١) كشف الظنون (٧٠٦/٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٦./٢٢)، ووفيات الأعيان (٣٤٩/٣).

(٣) الأعلام (٣١/٨).

(٤) وفيات الأعيان (٣٩٦/٥).

(٥) وفيات الأعيان (٣٨٩/٥).

**عصره:**

عصر نصر الله بن الأثير هو النصف الثاني من القرن السادس من الهجرة، والنصف الأول من القرن السابع، وهو عصر الفتن والحروب والقلاقل وعصر التنازع بين الدويلات الإسلامية، وهذا العصر يتميز بالتفاني الحربي بين الدول الإسلامية والإمارات الإفرنجية بالشام المعروفة بمستعمرات الصليبيين، وبانتعاش الدولة العربية العباسية واستعادتها استقلالها منذ عهد الخليفة المقتفي لأمر الله سنة (٥٤٧هـ)، ونهوض دولة الأدب في حكم العرب، فالحروب الصليبية منذ نشوبها أخذت تلهب العواطف، وتفيض القرائح، وتحرق القلوب، وتهيج النفوس، فأخذ النثر منها سبيلاً سياسيًا حماسيًا رائعًا، وأخذ الشعر منها طريقة حماسية لاذعة، وكثرت المراسلات المستنفرة والأناشيد الحافزة، وأقبل الناس على القصيد يلبون داعيه، وحفدوا إلى المستغيث بالنصر المؤزر.

وانتهاض الدولة العربية من كبوتها أقام للأدب سوقًا دارة، واستفاض القرائح، وبعث جماعات كثيرة من الأدباء على خدمة دولة العرب، بعد أن كانوا لا يصدقون بانتعاشها، ويستعجزون القدر في انتياشها، وألف جماعة من الأدباء كتبًا في البلاغة و البيان[1].

**حياته وسيرته:**

لم يكن نصر الله بمعزل عن الحياة الصاخبة ولكنه كان وزيرًا مباشرًا للسياسة والملك، متنقلاً من بلد إلى بلد ومن أمير إلى أمير؛ فقد كتب لصلاح الدين بمصر والشام، ووزر لابنه الأفضل بالشام، والتحق بصاحب حلب غازي ابن صلاح الدين، والتحق بصاحب الموصل، واتصل بأولي الأمر وافدًا ورسولاً في بغداد، وارتبط حديث المؤرخين عن حياة نصر الله باتصاله بصلاح الدين، فقد اتصل به بعد أن كملت أدواته.

---

(١) انظر مقدمة كتاب "الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور" ص(٣-٥) تحقيق: د. مصطفى جواد، جميل سعيد – المجمع العلمي العراقي (١٩٥٦م-١٣٧٥هـ).

يقول ابن خلكان: "ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين -تغمده الله برحمته- في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة، فوصله القاضي الفاضل لخدمة صلاح الدين في جمادي الآخرة من السنة، وأقام عنده إلى شوال من السنة، ثم طلبه ولده الملك الأفضل نور الدين من والده، فخيره صلاح الدين بين الإقامة في خدمته، والانتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذي قرره له باقيًا عليه، فاختار ولده، فمضى إليه، وكان يومئذ شابًا، فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين علي -المقدم ذكره- رحمه الله تعالى، وحسنت حاله عنده.

ولما توفي السلطان صلاح الدين، واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق، استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة وردت أمور الناس إليه، وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه، ولما أخذت دمشق من الملك الأفضل وانتقل إلى صرخد -حسبما شرحناه في ترجمته- وكان ضياء الدين قد أساء العشرة مع أهلها، وهموا بقتله، فأخرجه الحاجب محاسن بن عجم مستخفيًا في صندوق مقفل عليه، ثم صار إليه، وصحبه إلى مصر لما استدعي لنيابة ابن أخيه الملك المنصور -وقد تقدم ذكر ذلك كله في ترجمة الملك الأفضل فأغنى عن الإعادة.

ولما قصد الملك العادل الديار المصرية، وأخذها من ابن أخيه -كما ذكرناه هناك- وتعوض الملك الأفضل البلاد الشرقية، وخرج من مصر، لم يخرج ضياء الدين في خدمته؛ لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه، فخرج منها مستترًا، ولسه في كيفية خروجه مستخفيًا رسالة طويلة، شرح فيها حاله، وهي موجودة في ديوان رسائله، وغاب عن مخدومه الملك الأفضل مديدة، ولما استقر الأفضل في سميساط عاد إلى خدمته وأقام عنده مدة ثم فارقه في ذي القعدة من سنة سبع وستمائة، واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر صاحب حلب -المقدم ذكره- فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره، وخرج مغضبًا وعاد إلى الموصل فلم يستقم حاله، فورد إربل فلم يستقم حاله، فسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته واستقر، وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان

شاه –المقدم ذكره في حرف الهمزة– وأتابكه يومئذ الأمير بدر الدين لؤلؤ أبو الفضائل النوري، وذلك في سنة ثماني عشرة وستمائة"[1].

وكان نصر الله على معرفة بلغات عصره على ما يبدو من كثرة أسفاره وتنقله من بلد إلى بلد، وكان نصر الله لا يفتأ يقصد أهل العلم، ويتحدث إليهم، فقد كان عارفًا بهذه اللغات معرفة يستطيع أن يفرق فيها بين الجيد والرديء من الشعر، ولذلك نراه في غير مكان من كتبه يشير إلى معرفته باللغات وقراءته فيها.

يقول وهو يتحدث عن الكناية والتعريض في كتابه المثل السائر: "واعلم أن هذين القسمين من الكناية والتعريض، قد وردا في غير اللغة العربية، ووجدهما كثيرًا في اللغة السريانية، فإن الإنجيل الذي في أيدي النصارى قد أتى منهما بالكثير، ومما وجدته من الكناية في لغة الفرس أنه كان رجل من أساورة كسرى وخواصه، فقيل له: إن الملك يختلف إلى امرأتك، فهجرها لذلك.."[2].

ويقول في موضع آخر من كتابه: "وهذا النوع من الكلام لم تختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات، ومما وجدته في لغة الفرس أنه لما مات قباذ أحد ملوكهم، قال وزيره: حركنا بسكونه، وأول كتاب الفصول لأبقراط في الطب قوله: "العمر قصير، والصناعة طويلة"، وهذا الكتاب على لغة اليونان.."[3].

ولا عجب أن نرى نصر الله يعرف هذه اللغات وقد نشأ وعاش في عصر اختلطت فيه الأمم المختلفة والحضارات المختلفة، وكان يحسن به وهو الوزير أن يعرف هذه اللغات التي قد يحتاج على أن يقرأ بها وأن يكتب بها في بعض الأحيان.

وكان نصر الله بن الأثير يشهد الحروب ويرافق صلاح الدين في حروبه ومعاركه ويذوق حلاوة النصر وخيبة الهزيمة، وكان يعرض للحديث عن هذا في رسائله

---

(١) وفيات الأعيان (٥/٣٩٠، ٣٩١).

(٢) المثل السائر ص(١٢٠٠، ١٢٠١).

(٣) المثل السائر ص(١٣٢٣).

يقول: "وكنت في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبالة العدو الكافر من الفرنج لعنهم الله، وتقابل الفريقان على مدينة يافا، وكان إلى جانبي ثلاثة فرسان من المسلمين فتعاقدوا على الحملة نحو العدو، فلما حملوا صدق منهم اثنان وتلكأ واحد.."[1].

ونجده في غير موضع من كتبه ورسائله يفيض في وصف الحرب وآلامها، ووصف القتال ومواطن الحرب يقول نصر الله: "وسبق ألم الموت ألم الجراح ونفذت غير مخضبة لسرعتها أسنة الرماح، وحصل القوم في القبضة وذموا عقبى النهضة، وجيء بالأسرى مقرنين بالأصفاد، موقنين أن رؤوسهم عواري على تلك الأجساد، ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه لأنكره.."[2].

هكذا هيأت هذه الحياة الصاخبة التي تقلب فيها نصر الله بين الأثير مادة الوصف ومادة الكتابة الإنشائية، ولم يقتصر نصر الله على هذه الحياة وحدها بل نراه يدقق النظر في كل ما حوله، فهو دائمًا يوصي الأديب أن ينتبه إلى هذا، ويلتفت إليه، ويقول: "إن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون، حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء، والماشطة عند جلوة العروس، إلى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة، فما ظنك بما فوق هذا، والسبب في ذلك أنه مؤهل لأن يهيم في كل واد، فيحتاج أن يتعلق بكل فن"[3].

ولم تقتصر ثقافته على هذا بل عمد إلى الشعر حتى قال في أول كتابه الذي سماه "الوشي المرقوم" ما مثاله: "وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثيرة، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين حبيب بن أوس وأبي عبادة البحتري، وشعر أبي الطيب المتنبي، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة وكنت أكرر عليها

---

(١) المثل السائر ص(١٠٣).

(٢) المثل السائر ص(١٦٨).

(٣) المثل السائر ص(٥٧).

بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني، وصار الإدمان لي خلقًا وطبعًا، فلا تقنع أيها الخائض في هذا البحر الذي لا ساحل له إلا بأن تفعل ما فعلته، وتسلك ما سلكته".

وقال ابن خلكان: "إنما ذكر هذا الفصل في معرض أن المنشئ ينبغي أن يجعل دأبه في الترسل حَلَّ المنظوم، ويعتمد عليه في هذه الصناعة"[1].

هكذا كانت سيرة وحياة نصر الله قضاها في ظل الدولة الأيوبية وخدمتها وخلّف مع أعماله الرسمية في الوزارة كتبًا كثيرة في الأدب والنقد والبلاغة وصناعة الإنشاء[2].

**مكانته العلمية:**

كثير من الذين ترجموا وكتبوا عن نصر الله امتدحوا ثراء علمه وأثنوا على تنوع ثقافته:

قال السيوطي عنه: "الوزير الفاضل ضياء الدين أبو الفتح الشيباني الخزرجي المعروف بابن الأثير.." [3].

وقال عنه ابن خلكان: "اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم، وكثيرًا من الأحاديث النبوية وطرفًا من النحو واللغة وعلم البيان، وشيئًا كثيرًا من الأشعار.." [4].

وقال عنه حاجي خليفة: "نزيل بغداد الأديب الكاتب.." [5].

وقال عنه صاحب معجم المؤلفين: "أديب كاتب من الوزراء"[6].

---

(١) وفيات الأعيان (٥/٣٨٩، ٣٩٠).

(٢) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٤/٢٩).

(٣) بغية الوعاة (٢/٣١٥).

(٤) وفيات الأعيان (٥/٣٨٩).

(٥) كشف الظنون (٦/٤٩٣).

(٦) معجم المؤلفين (٤/٢٨).

وقال عنه الذهبي: "الصاحب العلامة الوزير ضياء الدين.. أقبل على النحو واللغة والشعر والأخبار"[1].

وقال عنه الزركلي: "ابن الأثير الكاتب، وزير، من العلماء الكتاب المترسلين"[2].

وقال جمال الدين أبو حامد محمد بن علي المعروف بابن الصابوني في الاستدراك على مؤلف إكمال الكمال: "وذكر في باب الأثير جماعة منهم الأخوان الفاضلان أبو السعادات المبارك وأبو الحسن علي ابنا محمد بن عبدالكريم الجزري، وأغفل ذكر أخيهما الوزير الفاضل أبي الفتح نصر الله؛ فإنه كان فريد دهره، ووحيه عصره في صناعة الكتابة والإنشاء وله التصانيف البديعة والرسائل الصنيعة، ختم به هذا الشأن، وسار ذكره في جميع الأقطار والبلدان.. وأجاز لي مسموعه ومنثوره ومنظومه".

وقال زكي الدين المنذري: "وفي إحدى الجمادين توفي القاضي الأجل الفاضل أبو الفتح نصر الله بن محمد.."[3].

وقال ابن خلكان: "ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سماه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" وهو في مجلدين جمع فيه فأوعى و لم يترك شيئًا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره.. وله كل معنى مليح في الترسل وكان يعارض القاضي الفاضل في رسائله، فإذا أنشأ رسالة أنشأ مثلها، وكان بينهما مكاتبات ومجاوبات و لم يكن له في النظم شيء حسن.."[4].

وذكر الصفدي بعضًا من شعره:

ثلاثةٌ تعطي الفرح كأسٌ وكوبٌ وقدح
ما ذُبح الرزق بها إلا وللرزق ذَبح

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/٧٢).

(٢) الأعلام (٨/٣١).

(٣) نقلاً عن "الجامع الكبير" بتحقيق: د. مصطفى جواد وجميل سعيد ص(٢٨، ٢٩).

(٤) وفيات الأعيان (٤٢٧٨، ٤٢٨٧).

ومن نظمه:

وروضـــــةٌ طلقـــــة حيـــــاء غنـــــاء مخضـــــرة جنابـــــا

ينجـــابُ عـــن نورهـــا كمـــام تـــنحط عـــن وجههـــا نقابـــا

وبـــات بهـــا مبســـم الأقـــاحي يرشـــف مـــن طلـــها رضـــابا(١)

**كتبه ومؤلفاته:**

تعددت مصنفات نصر الله ابن الأثير وكثرت تآليفه، ولا غرابة في ذلك فقد عاش في عصر التنازع بين الدويلات الإسلامية والحروب والقلاقل، ولضياء الدين من التصانيف الكثيرة الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله منها:

١- الوشي المرقوم في حل المنظوم.

٢- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور.

٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.

٤- البرهان في علم البيان.

٥- رسالة الأزهار.

٦- مؤنس الوحدة، وهو مجموعة من الأشعار جمعت لصلاح الدين بن تنكز.

٧- مفتاح المنشأ في حديقة الإنشاء، وعند الزركلي "المفتاح المنشا لحديقة الإنشا"(٢).

٨- كتاب الاستدراك في الأخذ على المآخذ الكندية.

٩- ترسل وزير صدر الكبير.

١٠- مناظرة بين الخريف والربيع(٣).

١١- كفاية الطالب في نقد كلام الكاتب والشاعر.

---

(١) الوافي بالوفيات ص(١٩١٣٨).

(٢) الأعلام للزركلي (٣١/٨).

(٣) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ط. دار المعارف (٢٧٢/٥، ٢٧٣).

١٢- ديوان رسائل، طبع في بيروت باسم "رسائل ابن الأثير"[١].

١٣- المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء، قال عنه ابن خلكان: "إنه نهايـــة في بابه"[٢].

١٤- له مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي.

١٥- رسالة في الضاد والظاء.

١٦- رسالة في أوصاف مصر[٣].

١٧- كتر البلاغة[٤].

١٨- الأخبار النبوية.

١٩- كتاب أدعية.

٢٠- كتاب في السرقات الشعرية.

٢١- المرصع في الأدبيات.

٢٢- غرة الصباح في أوصاف الاصطباح.

٢٣- الأنوار في مدح الفواكه والثمار[٥].

**وفاته:**

قدم بغداد رسولاً غير مرة، وحدَّث بها، ومرض فتوفي في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وست مئة (٦٣٧هـ)[٦].

---

(١) الأعلام (٣١/٨).

(٢) وفيات الأعيان (٣٩٢/٥).

(٣) كشف الظنون (٤٩٢/٦، ٤٩٣).

(٤) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢٨/٤).

(٥) الوافي بالوفيات ص(١٩١٣٧).

(٦) سير أعلام النبلاء (٧٣/٢٣).



obeikandi.com

## مصادر التراجم


١- الأعلام للزركلي.

٢- هدية العارفين.

٣- طبقات الشافعية الكبرى.

٤- النجوم الزاهرة.

٥- سير أعلام النبلاء للذهبي.

٦- مرآة الجنان لليافعي.

٧- الذيل على الروضتين للسيوطي.

٨- عبر الذهبي.

٩- معجم المؤلفين.

١٠- وفيات الأعيان لابن خلكان.

١١- الوافي بالوفيات للصفدي.

١٢- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني.

١٣- النهاية في غريب الحديث لمجد الدين بن الأثير.

١٤- اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير.

١٥- معجم البلدان.

١٦- كشف الظنون.

١٧- بغية الوعاة.

١٨- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة.

١٩- معجم الأدباء لياقوت الحموي.

٢٠- الكامل في التاريخ.

٢١- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان.

٢٢- تذكرة الحفاظ للذهبي.

٢٣- شذرات الذهب لابن العماد.




obeikandl.com

**(٥) تحقيق وترجيح نسبة الكتاب:**

من خلال كتب التراجم والتاريخ ومراجعة النسخ المخطوطة نلاحظ أن هذه النسخ اختلفت في نسبة الكتاب حول ثلاثة من الأشقاء هم "مجد الدين بن الأثير المتوفى سنة (٦٠٦هـ) ثم عز الدين بن الأثير المتوفى سنة (٦٣٠هـ) ثم ضياء الدين بن الأثير المتوفى سنة (٦٣٧هـ)"، وقد حقق هذا المخطوط بالمجمع العلمي بالعراق على يد كل من الأستاذين مصطفى جواد، وجميل سعيد إلا أن التحقيق لم يكتشف هذا الاختلاف في نسب المخطوطة لاعتماده على نسخة واحدة هي ٢٧٠ بلاغة، ٣٠٠٦٤ عمومية وذلك في سنة ١٩٥٠م[1]، ومن هنا فإن التحقيق لم يحسم الاختلاف في نسبتها.

وإن كان من الشائع نسبة هذا المخطوط لضياء الدين بن الأثير؛ هذا الشيوع الذي اكتسب من النسخة المطبوعة المحققة، ولذلك نجد الكتب التي تناولت الإشارة لهذا الكتاب نسبته أيضًا لضياء الدين مثل كتاب "مختصر تاريخ البلاغة" للدكتور عبدالقادر حسين، و"تاريخ النقد الأدبي عند العرب" للدكتور إحسان عباس، متبعة في ذلك النسخة المطبوعة للكتاب.

ومع هذا فإننا لم نستسلم لهذا الشيوع مع وجود هذه الإشارات التي تؤكد هذا الاختلاف في النسب الذي لا بد أن يحسم بنسبة المخطوط لواحد فقط منهم.

من هنا كانت حتمية الرجوع لكتب التراجم التي تناولت كلاً منهم، وكذلك البحث في الكتاب المحقق عن إشارة قد تشير دون عمد لما نحن بصدده.

وسنتوقف مع كل منهم بترتيبهم السِنِّي:

---

(١) جاء في مقدمة تحقيق النسخة المطبوعة: "وقد تفضل المجمع العلمي العراقي فصور هذا الكتاب على نسخة خطية بدار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠م، نسخت بنفقة الكتبخانة وأضيفت في ٢٤ مارت سنة ١٨٩٧م برقم (٢٧٠ بلاغة و٣٠٠٦٤ عمومية، وكتب في صدرها "كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور".

أولاً: مجد الدين بن الأثير [٥٤٤-٦٠٦هـ] وهو الأخ الأكبر.

من خلال مراجعة النسخ المخطوطة وبحثنا في كتب التراجم والتاريخ التي تناولت مجد الدين كسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٨٨/٢١)، فلم نجد ذكرًا لهذه المخطوطة –الجامع الكبير- فيه، وكذلك طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤٥٣/٤، ٤٥٤)، ووفيات الأعيان ص(٢٣٤١)، والنجوم الزاهرة (١٩٨/٦، ١٩٩)، ومعجم البلدان (١٣٨/٢، ١٣٩)، والأعلام للزركلي (٢٧٢/٥)، والنهاية في غريب الحديث (٢/١)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٥٠/٥)، وبغية الوعاة (٢٧٤/٢)، والكامل في التاريخ (٣٥٠/١٠) فكل هذه الكتب السالف ذكرها وغيرها مما ورد فيها ذكر مجد الدين لم تنسب له مخطوطة (الجامع الكبير) اللهم إلا إشارة عابرة على سبيل الاحتمال على غلاف نسخة (بلاغة تيمور).

من ثم نستطيع بقدر كبير من الطمأنينة إخراج الأخ الأكبر مجد الدين من دائرة بحثنا.

ثانيًا: عز الدين ابن الأثير [٥٥٥-٦٣٠هـ]

من خلال بحثنا في كتب التراجم والتاريخ التي تناولت عز الدين وجدنا نسبة المخطوط –الجامع الكبير- إليه في الأعلام (٣٣١/٤)، وكشف الظنون (٧٠٦/٥)، ومعجم المؤلفين (٥٢٣/٢)، وهدية العارفين (٧٠٦/١)، كل هذه التراجم قد أجمعت على نسبة هذا المخطوط لعز الدين، وأيضًا أكثر النسخ المخطوطة منها ١٣١ بلاغة تيمور، و١٦٦ بجاميع مصطفى فاضل.

ولم نكتف بهذا بل بحثنا في جميع كتب التراجم التي ترجمت لعز الدين رغبة منا في الوصول إلى أبعد غايات التحقيق والتثبت من صحة نسبة هذه المخطوطة لعز الدين ابن الأثير، ومن هذه الكتب سير أعلام النبلاء (٣٥٣/٢٢-٣٥٦)، وتذكرة الحفاظ (١٨٥/٤، ١٨٦)، وشذرات الذهب لابن العماد (١٣٧/٥)، ومرآة الجنان لليافعي (٧٠/٤)، وعبر الذهبي (١٢٠/٥)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤١١/٤)، ووفيات الأعيان (٣٤٨/٣)، وغيرها من كتب التراجم والتاريخ.

ثالثًا: ضياء الدين بن الأثير [٥٥٨-٦٣٧هـ]

من خلال البحث في كتب التراجم والتاريخ لم يثبت لضياء الدين المخطوطة – الجامع الكبير- سوى الزركلي في "الأعلام" (٣١/٨)، وكارل بروكلمان في كتاب "تاريخ الأدب العربي"[1] (٢٧٣/٥).

وكذلك نسخة المخطوط ٢٠٧ بلاغة التي اعتمد عليها محققا النسخة المطبوعة بالإضافة إلى غلاف نسخة الحسيني ١٠٧.

أما باقي الكتب التي ترجمت له لم تذكر هذا المخطوط في تصانيفه كسير أعلام النبلاء للذهبي (٧٢/٢٣)، ووفيات الأعيان (٣٨٩/٥)، ومعجم المؤلفين (٢٨/٤)، وكشف الظنون (٤٩٢/٦، ٤٩٣)، وبغية الوعاة (٣١٥/٢)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ص(٣٨١٥)، والوافي بالوفيات ص(١٩١٣٥)، وعيون الروضتين لأبي شامة المقدسي ص(٦٤٠)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ص(٣١٢٦).

كل هذه الكتب لم تنسب أي منها هذه المخطوطة لضياء الدين مما يرجح أن المخطوط ينسب لعز الدين بن الأثير.

أما فيما يخص النسخة المطبوعة المحققة من المخطوطة فعلى الرغم من أن المحققين قد نسباها إلى ضياء الدين بن الأثير، فقد اتضح لنا من هذا التحقيق عدة أمور هامة هي أنه قد اعتمد على نسخة واحدة هي ٢٧٠ بلاغة، ٣٠٠٦٤ عمومية، وهذا يعني أن محققي المطبوعة لم يتثبتا من نسبة المخطوطة، وهذا يفسر لنا أن هذا الشيوع بنسبة المخطوطة لضياء الدين بن الأثير قد نشأ عن هذه النسخة المحققة، ولعل الأمر الآخر الذي أدى لهذا الشيوع هو كون ضياء الدين كاتبًا وأديبًا وله عدة مؤلفات في الحقل البلاغي كالوشي المرقوم في حل المنظوم وغيرها، فهذا ساعد في هذا الشيوع.

---

(١) المشهور لدى المحققين عدم الثقة بما ينسبه بروكلمان للمؤلفين؛ لأنه يعتمد على الفهارس المتداولة دون التحقيق الميداني بالرجوع إلى المخطوطات نفسها.

ولقد لفتنا التحقيق إلى نقطة مهمة في هذا الشأن وهي أن كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" به الكثير من الأخطاء التي تنتفي في كتاب "الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور"، وهذا يعني أيضًا أن المؤلف ليس واحدًا، وكذلك أسلوب الكتابين وإن كانا يعرضان نفس المادة، فالأسلوب ينم عن اختلاف واضح.

وبهذا يتضح لنا بدرجة كبيرة من اليقين ترجيح نسبة المخطوط لعز الدين بن الأثير المؤرخ، وذلك عبر رحلتنا مع كتب التراجم التي أكدت ذلك بطريق مباشر، وهي هدية العارفين، ومعجم المؤلفين، وكشف الظنون، والأعلام للزركلي، فهذه الكتب نسبت "الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور" إلى عز الدين أما الكتب الأخرى –التراجم– التي تأكدنا من البحث فيها من نفي نسبة المخطوط لكل من "مجد الدين" الذي لم يرد نسبته إليه إلا في إشارة بلاغة تيمور، وكذلك "ضياء الدين بن الأثير" الذي لم تشر كتب التراجم لنسبته إليه إلا في كتاب كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" والأعلام للزركلي، وأما شيوع نسبته لضياء الدين فقد بينا أنه يرجع إلى نسبة النسخة المحققة التي نسبتها إليه، وهي لم تعتمد إلا نسخة خطية واحدة، ومن ثم لم يتبين لمحققيها هذا الاختلاف الواقع في نسبة الكتاب إلى مؤلفه حيث اعتمدا على النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠ بلاغة، فهي النسخة الوحيدة التي ذكرت نسبة الكتاب إلى ضياء الدين نصر الله بن الأثير صاحب المثل السائر.

أما باقي النسخ فلم تنسب الكتاب إلا لعز الدين المؤرخ صاحب كتاب الكامل.

اللهم إلا نسخة الحسيني التي ذكر المفهرس على غلافها نسبة الكتاب لضياء الدين نصر الله بن الأثير، وهذا بترجيحه هو؛ لأنه ذكر ضمن بيانات النسخة أنها مفككة وبدون صفحة الغلاف التي تبين نسبة الكتاب لصاحبه.

ومن ثم نخلص من خلال مراجعة النسخ المخطوطة أن الكتاب لم ينسب لضياء الدين نصر الله بن الأثير صاحب المثل السائر إلا في نسخة واحدة هي ٢٧٠ بلاغة، ومن أمانة النقل أن نبين أن نسخة من هذه النسخ مختومة بختم وقف أحمد بن محمد

تيمور قد نسبت الكتاب لعز الدين المؤرخ ثم قال الناسخ بعد العنوان: "وقد أخذه أخوه ضياء الدين نصر الله وأدمجه في كتابه المثل السائر مع التوسع بما أضافه إليه وقد ذكر في كثير من المواضع عبارته برمتها، ويرجح أن الأصل أي الجامع الكبير للأخ الأكبر مجد الدين المبارك المتوفى سنة ٦٠٦هـ".

ونقول: إن ترجيح هذا الناسخ أن الأصل لمجد الدين المبارك كلام لا دليل عليه لدينا، ويزيد الأمر خلافًا بلا داع ولا قرينة تدل عليه، خاصة أنه لم يشاركه في هذا القول أحد فيما وقفنا عليه من المؤرخين وأصحاب الفهارس وكشافات الكتب.

فبقي الأمر منحصرًا بين نسبة الكتاب للأخوين عز الدين المؤرخ، وضياء الدين نصر الله صاحب المثل السائر، ولعل ترجيحه بأن يكون ضياء الدين صاحب المثل السائر قد أخذه من أخيه عز الدين —يكون هو الأرجح- ويتعزز هذا بأن النسخ المخطوطة جميعها قد عزت الكتاب إلى عز الدين فيما عدا نسخة ٢٧٠ بلاغة التي رجع إليها محققا المطبوعة واعتمدا عليها في نسبة الكتاب إلى ضياء الدين.

ومن ثم فالذي نرجحه أن الكتاب (الجامع الكبير) قد كتبه أولاً عز الدين صاحب كتاب الكامل المتوفى سنة ٦٣٠هـ، ثم أخذه أو ورثه أخوه ضياء الدين نصر الله صاحب المثل السائر المتوفى سنة ٦٣٧هـ أو ٦٣٨هـ على الخلاف في سنة وفاته، ولعل ابن الأثير قد جعله أصلاً لكتابه المثل السائر ثم أخذ يضيف إليه ويزيد عليه، ولعله يكون قد أبقى في بادئ الأمر على عنوانه: (الجامع الكبير) كما هو مما أشاع نسبة الكاتب إليه عند بعض النساخ بهذا العنوان، ثم لما استقر أمر الكتاب بعد زياداته عليه التي ضاعفت حجم الكتاب أكثر من ثلاثة أضعاف الأصل استقر رأي ابن الأثير ضياء الدين على تغيير عنوانه ليكون كتابًا جديدًا هو (المثل السائر..).

ولا مانع أن يكون الكتاب كتابًا واحدًا توارد على تأليفه والزيادة عليه وتنقيحه الإخوة الثلاثة، ويكون البادئ فيه أخوهم الأكبر مجد الدين المبارك كما رجح أحد النساخ فيما ذكرناه آنفًا، ثم انتقل الكتاب إلى عز الدين فنقحه وأضاف إليه، ثم انتقل إلى ضياء الدين فزاد عليه ضعفيه ومن ثم غير عنوانه إلى المثل السائر، ولكن يبقى

نسبة الكتاب إلى مجد الدين الأكبر مجرد احتمال ليس له ما يؤيده إلا هذه الإشارة التي عثرنا عليها على غلاف إحدى النسخ، وليس لدينا دليل على تقويتها وتأكيدها، فبقى الكتاب منحصرًا في نسبته إلى الأخوين عز الدين وضياء الدين، وإن كنا نرجح نسبته للأول حسب ما ذكرته أكثر النسخ المخطوطة وكثير من كتب التراجم والتاريخ، ثم يكون الكتاب قد انتقل بعد وفاته إلى أخيه ضياء الدين فزاد عليه كما بينا وجعله أصلاً لكتابه المثل السائر فلعل هذا سبب نسبته إليه، والله تعالى أعلم.

obeikandl.com